الْحَمْدُ للهَّ الْعَلِيِّ الْقَوِيِّ الْمُتِينِ ، الْقَاهِرِ الظَّاهِرِ الْمُبِينِ ، لا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ أَقَلُّ الأَنِينِ ، وَلا يَخْفَى عَلَى بَصَرِهِ حَرَكَاتُ الْجَنِينِ ، ذَلَّ لِكِبْرِيَائِهِ جَبَابِرَةُ السَّلاطِينِ ، وَقَلَّ عِنْدَ دِفَاعِهِ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ ، قَضَى قَضَاءَهُ كَمَا شَاءَ عَلَى الْخَاطِئِينَ.

أَحْمَدُهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ ، وَأَسْأَلُهُ مَعُونَةَ الصَّابِرِينَ، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وَأُصَلِّي على رسوله المقدم على التبيينﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد فأُوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله، وراقبوه في شهركم ، و بقية أيامه، وشمروا عن ساعدِ الجد في أعمارِكم. قال الله تعالى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (١).

أيُها المُسلِمُون: إنَّ الله أنزل القرآن في شهر الصيامَ (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ..) (). قال ابن عباسﷺ : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلةالقدر، فكان الله إذا

---

(١) سورة آل عمران، آية:102.

(٢) سورة البقرة، آية:185.

أراد أن يُوحِيَ منه شيئًا أوحاه (٣) . وَقَال الله تعالى: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} (٤). وَقَال عز وجل : {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} (٥).قال القرطبي:أَيْ لَا تَعْجَلْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بَلِ اقْرَأْهُ فِي مَهَلٍ وَبَيَانٍ مَعَ تَدَبُّرِ الْمَعَانِي. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: اقْرَأْهُ حَرْفًا حَرْفًا. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَحَبُّ النَّاسِ فِي الْقِرَاءَةِ إِلَى اللهِ أَعْقَلُهُمْ عَنْهُ(٦) .

أيها المؤمنون: إن القرآن كان حياةَ النبيﷺ ، وخلقَه في رمضان وكل العام، وكان يُجالس جبريل؛ لمدارسةِ القرآن في رمضان؛ ليزداد غذاءً لِرُوحِهِ، ويسمو في رمضان في ملكوت الله ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍرضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِﷺ «أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»(٧).

---

(٣)تفسير الطبري (3 / 446)

(٤) سورة الإسراء، آية:106.

(٥) سورة المزمل، آية:4.

(٦)تفسير القرطبي (19 / 37).

(٧) رواه البخاري بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ حديث رقم3220 صحيح البخاري (4 / 113)، ورواه مسلم بَابُ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ حديث رقم230 صحيح مسلم (4 / 1803).

وعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ رضي الله عنها: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ : «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي» (٨). قال ابن بطال رحمه الله: وما كانت مدارسته للقرآن إلا لتزيده رغبة فى الآخرة، وتزهدًا فى الدنيا. وفيه: دليل أن الجليس الصالح ينتفع بمجالسته وخص رمضان بذلك، لأن الله تعالى أنزل فيه القرآن إلى السماء الدنيا، ولتتأسى بذلك أمته فى كل أشهر رمضان، فيكثروا فيه من قراءة القرآن، فيجتمع لهم فضل الصيام والتلاوة والقراءة والقيام(٩). قال قتادة يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَتْ عائشة ﵂ : «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ» (١٠) وَ لقد إقتدى به أصحابه فكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لاَ يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ القُرْآنَ (١١) .

---

(٨)رواه البخاري بَابُ كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث رقم 4998صحيح البخاري (6 / 186).

(٩)شرح صحيح البخارى لابن بطال (1 / 40) .

(١٠)رواه مسلم بَابُ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَمَنْ نَامَ عَنْهُ أَوْ مَرِضَ صحيح مسلم1(/ 512- 513).

(١١)رواه البخاري بَابُ جِوَارِ أَبِي بَكْرٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَقْدِهِ صحيح البخاري3(/ 98).

أيها الصائمون:إن الذي يقرأ القرآن، كالأترُجةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ،جعله النبي صلى الله عليه وسلم طيبَ الطعمِ والريح، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا" (١٢)، بل إن النبي ﷺ جعل الذي يقرأ القرآن من المغبوطينَ،فعن عَبْدَ اللهَّ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: " لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُّ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُّ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ " (١٣).

قال ابن بطال رحمه الله:عن عبد الله بن عمر بن العاص قال: من جمع القرآن فقد حمل أمرًا عظيمًا، وقد استدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا

---

(١٢)رواه البخاري بَابُ فَضْلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلاَمِ حديث5020صحيح البخاري (6 / 190).

(١٣)بَابُ فَضْلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلاَمِ حديث5025صحيح البخاري (6 / 191)، ورواه مسلم بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا حديث رقم 815صحيح مسلم (1 / 558).

يوحى إليه، فلا ينبغى لصاحب القرآن أن يرفث فيمن يرفث ولا يجهل فيمن يجهل، وفى جوفه كلام الله(١٤) .

أيها الموحدون: إن النبي ﷺ وصى بالقرآن وبالأخذِ به والحرصِ عليه، وتعاهدهِ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ»(١٥). ولقد عاش النبي ﷺ القرآن وتدبره بتلاوته وبسماعه من غيره، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : «اقْرَأْ عَلَيَّ» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «نَعَمْ» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ:{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا} ، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ(١٦).

قال ابن بطال: معنى استماعه القرآن من غيره والله أعلم ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون كى يتدبره ويفهمه، وذلك أن المستمع

---

(١٤)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 264).

(١٥) بَابُ اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ حديث5032 صحيح البخاري (6 / 193)، ورواه مسلم بَابُ الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا حديث رقم79 صحيح مسلم (1 / 544) .

(١٦)رواه البخاري بَابُ قَوْلِ المُقْرِئِ لِلْقَارِئِ حَسْبُكَ حديث5050 صحيح البخاري (6 / 196)، وروام مسلم بَابُ فَضْلِ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَطَلَبِ الْقِرَاءَةِ مِنْ حَافِظِهِ لِلاسْتِمَاعِ وَالْبُكَاءِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ حديث رقم800 صحيح مسلم (1 / 551).

أقوى على التدبر، ونفسه أخلى وأنشط من نفس القارئ؛ لأنه فى شغل بالقراءة وأحكامها (١٧) .

وقال رحمه الله: البكاء عند قراءة القرآن حسن، قد فعله النبيﷺوكبار الصحابة، وإنما بكىﷺعند هذا لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة، وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بتصديقه والإيمان به، وسؤاله الشفاعة لهم ليريحهم من طول الموقف وأهواله، وهذا أمر يحق له طول البكاء والحزن (١٨) .

وعن الأعمش عن أبى صالح قال: لما قدم أهل اليمن فى زمن أبى بكر سمعوا القرآن فجعلوا يبكون قال أبو بكر: هكذا كنا ثم قست القلوب.

وقال الحسن: قرأ عمر بن الخطاب: (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ) [الطور: 7، 8] فربا ربوة عيد منها عشرين يومًا. وقال عبيد بن عمير: صلى بنا عمر صلاة الفجر فقرأ سورة يوسف حتى إذا بلغ: (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ) [يوسف:84] بكى حتى انقطع فركع. وقرأ عبد الرحمن بن أبى ليلى سورة مريم؛ فلما انتهى إلى قوله:

---

(١٧)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 277-278) .

(١٨)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 281) .

(خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) [مريم: 58] ، فسجد بها، فلما رفع رأسه قال: هذه السجدة فأين البكاء؟ (١٩)

أيها الناس: إن القرآن حياةٌ، ودستورٌ هنياً لمن أخذ به وعملِ، فهو السعيد الفائز الرابح في الدنيا والآخرة.قال ابن عباس: من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر (٢٠) .

وقال عبد الله بن عمرو: عليكم بالقرآن، فتعلموه وعلموه أبنائكم، فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظًا لمن عقل. وقال ابن مسعود: لا يسأل أحد عن نفسه غير القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله (٢١)، وقال أسد بن وداعة: ليس من العبادة شيء أشد على الشيطان من قراءة القرآن نظرًا(٢٢) .

أخي:تِلاوَةُ الْقُرْآنِ تَعْمَلُ فِي أَمْرَاضِ الْفُؤَادِ مَا يَعْمَلُهُ الْعَسَلُ فِي عِلَلِ الأَجْسَادِ ، مَوَاعِظُ الْقُرْآنِ لأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ شَافِيَةٌ ، وَأَدِلَّةُ الْقُرْآنِ لِطَلَبِ الْهُدَى كافية ، أين السالكون طريق السلامة والعافية ، مالي أَرَى السُّبُلَ مِنَ الْقَوْمِ عَافِيَةً (٢٣) .

---

(١٩)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 281-282).

(٢٠)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 257) .

(٢١)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 266) .

(٢٢)شرح صحيح البخارى لابن بطال (10 / 267) .

(٢٣)التبصرة لابن الجوزي (1 / 78 -79) .

عباد الله، هذا شهرُ رمضان، وفي بقيته للعابدين مُسْتَمْتَعْ، وهذا كتابُ الله فيه يتلى ويُسْمَعُ، وهذا القرآنُ لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع، ومع هذا فلا قلبٌ يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان فينفع، ولا قيامٌ استقام فيرجى أن يشفع.

قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع، وتراكمت عليها الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم يتلى علينا القرآن وقلوبُنا كالحجارة أو أشدُّ قسوة؟ كم يتوالى علينا شهرُ رمضان، وحالنا فيه كحال أهل الشِّقْوَة؟ أين نحن من قوم إذا سمعوا داعيَ الله أجابوا، وإذا تليت عليهم آياتُه وجِلَت قلوبهم وأنابوا؟ (٢٤)، فنحن حالنا نلهو عن القرآن نتلذذ به في أول أيام رمضان، ثم نتجه بعد ذلك إلى الحرام، إلى القنوات، إلى من لا خلاق له ، فنعكف عليها بعض الليل وأغلب الصباح، ثم ينام الأبناء والبنات عن الظهر والعصر، فلا ظهر و لا عصر صلوا، ثم يقولون نحن صائمون فأين الصلاة من الصيام؟ وأين الموحدون من الصلاة، وتذكر بأنك ستموت، ففي هذه الأعوام رأُسك يُقبله الكثيرُ؛لأنك شبت، وفيما سبق

---

(٢٤)وظائف رمضان (ص:50 -51) .

كنت تُقبل من يكبرك، وتقبيلُ رأسك من الصغار، دليلٌ على قربك من القبر، وإِقْبَالَك على الديان.

ألا وصلو وسلموا...

وكتبه/

د. سعد بن عبدالله السبر

الخميس 11 رمضان 1437